حوارية البقاء والأمل

. محمد ديبو .

الجوقة:
وبين اللّد والكرملْ،
يغني البحرُ للبيدرْ.
وبين العشب والسوسنْ،
تغنّي القدسُ للعوسجْ.
وبين الغيم والزرقهْ،
يناجي نورسٌ عكّا.
وبين الحُلْم واليقظهْ،
ينادي لاجئٌ يافا.
ويَهْذي آخرٌ ثَمِلٌ:
متى العوده؟
متى العوده؟

صوت الأب (والد الشهيد محمد الدرّة):
أناديكمْ..
أناديكمْ..
فهلْ من سيِّدٍ فيكمْ؟!
أناديكمْ..
وبالأقصى أُحلِّفُكُمْ،
وبالنَّجف الشريف، كنيسةِ المريمْ،
بصوت محمد الآتي.
أُحلِّفُكمْ..
أُحلِّفُكمْ.. بنورسِ بحرِ يافا، شهوةِ
الزيتونِ،
زقزقةِ العصافير، انبثاقِ الشمسِ
لحظةَ خيطِها الأولْ.
أناديكمْ..
أناديكمْ..
وكلّي حاقدٌ ثائرْ..
ووردي ذابلٌ ظامئْ..
وقلبي فاحمٌ أسودْ..
وأوْردتي فتيلٌ صاعقٌ غاضبْ.
أناديكمْ..
وآهٍ لو
يملّكني الإلهُ قيادَ باخرةِ الضحى، لعجنتُ
بالصوت الصدى..
لضربتُ بالأفقِ المدى..
لجعلتُ من ذي الأرضِ بركانًا
وزلزالاً..
وأرضًا من دمٍ وردى.
أناديكمْ..
أناديكمْ..
فهلْ منْ قائدٍ فيكمْ؟
يُعيدُ إليَّ بسمتَهُ..
يُعيدُ إليَّ شهقتَهُ..
يُعيدُ إليَّ نغمتَهُ
إذا نادى،
مع الصبحِ: «أحبُّكَ يا أبي أبدا..»؟
أناديكمْ..
أناديكمْ.. وأصرخُ في ملاهيكمْ:
أَمَا يهتزُّ شيءٌ في محاجركمْ؟
ألاَ تهوي دموعٌ من مآقيكمْ؟
أناديكمْ..
وما عندي ولا أملٌ بأيٍّ منْ
كراسيكمْ..
وإنْ كنتمْ... وإنْ كنتمْ..
كما قالوا،
غداةَ تفَلْسفوا عنكمْ،
فذا شعبي يُقتَّلُ منذ خمسينٍ
أمامَ عيونِ بؤبُئكُمْ...
وإنْ كنتمْ..
كما قالوا..
غداةَ تفَلْسفوا عنكمْ،
فذا حجرٌ ينادي: «مَنْ يُبايعني
على درب الشهادةِ، كي أصارحكمْ؟»
أنا الوطنُ..
تعالوا فانتموا حجرًا..
تعالوا فانتموا أرضًا..
تعانوا فانتموا سفنًا..
فتلْكَ سفينةُ العرشِ التي
لا تَعْرفُ الغرقَا.
تعالوا فانتموا حَجَرًا،
وإلا سوف نُغْرقكمْ،
بطوفانٍ على بحرٍ،
بطوفانٍ على جبلٍ،
بطوفانٍ على عرشٍ.
تعالوا فانتموا حَجَرًا،
وإلاَّ سوفَ نغرقكمْ،
فذا نوحٌ يهدِّدكمْ.
تعالوا فانتموا حَجَرًا،
وإلاَّ سوفَ نغرقكمْ،
فذا شعبي يهدِّدكم.

الطفل الشهيد (محمد الدرّة):

ويا أبتي:
أنا منفي
أنا وطنٌ
أنا صمتٌ،
أنا لغةٌ،
وأحلمُ بالبعيد، أنا
هويَّةُ ذلك الوطن.
وجئتُكُمُو..
هنا نورٌ..
سيقفلُ بي،
أنا الزمنُ.
أنا نورٌ، إذا ما أظلمتْ حُقَبٌ،
بقاءٌ لا فناءَ به..
إذا ما اخضوضَرَ اليأسُ
وعمَّ الكذبُ والزيفُ.
أنا اللوزُ الشهيُّ، على عناقيد
البنفسج، سابحًا فوق الفضاء
الرافديِّ، على ذُرى بابلْ..
أنا الموتُ المؤبَّنُ للشهادة والخلود،
أسيرُ جنبَ النورسِ الماضي، إلى أكوانِ
مَنْ صُلبوا، إلى أكوانِ مَنْ قُتلوا:
على أرضٍ من المرمرْ.
أنا لغةٌ..
وأحفظُ في حروفي كلَّ مَنْ ماتوا،
فداءَ الأرضِ والزهرِ.
وأحفظهمْ من الموتِ..
وأحفظهمْ تلاوينًا من الحبِّ،
تلاوينًا من العشقِ.
أنا لغةٌ..
وأحفظهمْ على كتبي،
ليُدْرِكَ كلُّ مَنْ يولدْ،
بأنَّهمو منَ الشهداءِ قد وُلدوا.

الطفل المصريّ أحمد شعراوي:

(الذي ركب حافلةً واتّجه نحو العريش،
للمشاركة في انتفاضة الحجارة)
محمَّدُ يا محمَّدنا..
ويا قَبسًا مضيئًا فوقَ أقمارٍ خجولاتٍ
تنامُ على سرائرنا..
ويا أيقونةً ممهورةً بالدَّمِ ماتتْ عند نافذتي،
على ملقى مشارفنا.
أنا أحمدْ..
أنا أحمدْ، أنا مصر.
أُلبِّي من عُمَيقِ القلبِ صرختَكَ التي
قد أوقدتْ ناري،
وأضرمتِ الحرائقَ في شراييني.
أنا منْ مصرَ يا صاحبي..
وليستْ مصرِ مصْرَهُمُو..
فلي مصري التي ما هادنتْ أبدًا..
ولي شعبي الذي ما غادرَ الساحهْ..
ولي أطفالُ قاهرتي
يسيرونَ انبلاجَ الصبح، نحو دماءِ
مَنْ رحلوا، إلى الملكوتِ فانتصروا..
وما زالتْ دماؤُهُمُو.
تلاحقنا... وتُقْلقنا..
وتَضْربنا بعنفٍ من رجولتنا،
وتهزأُ من حكاياتنا.
محمَّدُ يا محمَّدنا..
إلى رفحٍ ركبتُ الباصَ في الظلمهْ..
ومحفظتي من الأقلام قد فرَّغتُها
حجرًا من البارود..
قد أملأتُها، نحو العريش أخذتُ دربي كي
أفرِّغ حقدَ مَنْ غضبوا
وخانتني طفولتُنا..
وخانتني براءتُنا..
وما فرّغتُ حقدي يا محمدنا.
لماذا يمنعوني يا محمدنا؟!
أحبّائي..
أجيبوني.. أجيبوني..
وأهْوِنُ ألفَ مرهْ أن أموتَ ولا أرى علَما
لمَنْ قتلوكَ، فوقَ ترابِ قاهرتي.
أنادي مَنْ..
أحبّائي..
أنادي مَنْ..
«إمام الشيخ» قد رحلا..
«فؤاد النجم» قد صُلبا..
فرجْ فودهْ وقد قُتلا..
أجيبوني..
أُنادي مَنْ..
أُنادي مَنْ..
أحبّائي!

دمشق